إستخدام التكنولوجيا الرقمية في توثيق وحفظ ونشر التراث الموسيقي العربي وتوفير منصة أكاديمية وفنية للموسيقيين العرب

د. سليم الزغبي (فلسطين)[1]

ملخص

إن التراث العربي الموسيقي يفتقر إلى التوثيق والتدوين العلمي لأعمال الموسيقيين العرب للموسيقى العالمية ولئن كان ذلك متوفر بصورة مبدئية ومنفردة لبعض الموسيقيين المصريين. قمثلا هناك موسيقيون فلسطينيون عرب كتبوا أكثر من عشرين سيمفونية لا يوجد توثيق لها إلا لثلاث سيمفونيات ومنفردة ومحدودة مع عائلاتهم وبعض الأرشيفات الموسيقية في الأمكنة التي عملوا فيها. وبالإضافة للتوثيق توجد معضلة عدم النشر والتوزيع ومشكلة حفظ حق الملكية لهم. إن الجهود الكبيرة التي تقوم بها مكتبة التوثيق الموسيقي في دار الأوبرا هي فرصة كبيرة للإنتقال إلى مثل هذه البيئة. إن التوثيق لحياة وأعمال هؤلاء الموسيقيين ليس فقط واجبا علميا وإنما واجبا عربيا وقوميا للأجيال القادمة وتوفيرها عالميا أيضا.

هذه الورقة تهدف إلى إبراز ضرورة وأهمية العمل على معالجة هذا النقص الكبير في حفظ التراث الموسيقي العربي بكافة جوانبه وأشكاله، كما **وتقدم مقترحا علميا وعمليا** وذلك لتوفير الوسائل والبيئة الحاضنة لحفظ المؤلفات الموسيقية العربية بكل أنواعها (بما فيها الموسيقى الشعبية والشرقية والعالمية) بإطار إلكتروني يسهل حفظه ونقله وتعديله. يعتمد هذه الإقتراح على فكرة إنشاء بيئة إلكترونية معلوماتية توفر مكتبة رقمية تعني بالمؤلفات والأعمال الموسيقية العربية تكون البيئة الأكاديمية والفنية، كم توفر أيضا محتوى معلوماتي عن الموسيقيين العرب من جميع الدول العربية والمقيمين في العالم ليشمل على أكثر بكثير من مجرد أسمائهم وسيرة ذاتية مقتضبة، وإنما سيرة ذاتية تفصيلية لهم مع دراسات عن أعمالهم وتوفير نقد فني وإستعراض كامل لأعمالهم الموسيقية الكاملة وتراكيبها. كما ستكون المرجع الرسمي لقوائم أعمالهم مع ترقيم فهرس كامل لكل مؤلف توافق عليها جهة

[1] مؤلف موسيقي وكاتب عن الموسيقى
مستشار الأمم المتحدة في إستراتيجيات المعلومات والإتصالات الإلكترونية

رسمية عربية (مثلا وزارة الثقافة للدولة التي ينتمي لها الموسيقار أو مجمع الموسيقى العربية). وبدرجة لا تقل أهمية عن ذلك يوفر الإقتراح إطار تواصل علمي وتعليمي يوفر إمكانية التواصل إلكترونيا ورقميا بين الموسيقيين العرب والأكاديميين العرب المختصين وطلبة الموسيقى في الدراسات العليا.

ملاحظة: يتم إستخدام المصطلحات التالية في هذه الورقة:

- ✓ الموسيقى العربية: جميع أنواع الوسيقى التي عرفها العالم العربي منذ القدم وتدعى أحيانا الموسيقى الشرقية وتعتمد على الآت الموسيقى الشرقية مثل العود وأي ألات غربية أخرى.
- ✓ الموسيقى العالمية: وهي ما تعرف بالموسيقى العربية أو الكلاسيكية كما عرفت في أوروبا منذ عصر الباروك وحتى قبله، وهي تشمل الموسيقى الأوركسترالية وموسيقى الحجرة والدراما.
- ✓ الموسيقى العربية العالمية: وهي الموسيقى التي من تأليف موسيقيين عرب في أسلوب ,اشكال ونظم الموسيقى العالمية مثل موسيقى أوركسترالية، سيمفونية، أوبرا وغيرها.

الصعوبات

إن تطور الموسيقى في الوطن العربي بكافة أنواعها يتميز بتاريخ نابض بعضه يعود إلى قديم الزمن وحتى قبل الإسلام وبعضه الآخر حديث جدا ظهر في أوائل القرن العشرين. ولكن في مطلع القرن العشرين وخاصة بعد الحرب العالمية الأولى بدأ الإنفتاح على أوروبا بسبب وحجود قوى الإحتلال والإستعمار الأوروبي في البلاد العربية. كما أدى الخلاص من الإستعمار العثماني إلى إلى ظهور مفكرين ومثقفين عرب في عدة دول عربية في محاولة البحث عن مكان تحت الشمس للشعوب العربية. ولم يكن من السهولة بمكان التوجه رأسا إلى النضال ومقاومة الإحتلال الأوروبي لإفتقار الشعوب العربية بشكل عام إلى الوعي الثقافي والوطني بالإضاغة إلى الفقر والجوع الشديد بينها. ولهذا نجد أن توجه الشعوب العربية في مطلع القرن العشرين إلى الأدب والفلسفة والثقافة والفن والموسيقى كان يعتبر علائم ومؤشرات ظهور نهضة عربية كبرى. وهنا يمكن القول أنه في بداية العقد الثاني من القرن العشرين بدأ النوجه لدى الموسيقيين العرب الذين أثار فضولهم الأساليب الحديثة في علم الموسيقى وتدوينها ومفاهيم تراكيبها الغربية. وهنا توجه الموسيقيون العرب في هذه الفترة إلى دراسة الموسيقى بشكل حديث. وبالرغم من أن العديد من الموسيقيين العرب في تلك الفنرة وما بعدها إعتمدوا فكرة التدوين والمقامات

والآلات الموسيقية (غربية كانت أن شرقية) ولكن بقي عدد كبير من الموسيقيين في ذلك الوقت وبعده يعتم السماعيات ولم يحاول تدوين مؤلفاتهم. وفيما بعد منتصف القرن العشرين ظهر العديد من المعاهد الموسيقية والموسيقيين الذين لجأوا إلى تدوين المؤلفات الموسيقية لمن سبقوهم.

أما الذين توجهوا إلى تدوين الموسيقى ودراسة الموسيقى العالمية فقد أصبحوا الجيل الأول من الموسيقيين العرب في هذا النوع من الموسيقى. ولا بد من ذكر الجيل الأول مون الموسيقيين المصريين الذين كانوا رائدين بحق في هذا المجال من الموسيقى.كما لا يمكن أن نغفل عن عامل كبير كان له أكبر الأثر في نمو الرغبة عند جيل من الشباب الموسيقي في ذلك الوقت والذي أصبح الأب الراعي للجيل الأو من النموسيقيين الغعالميين المصريين: هذا العامل هو بناء دار الأوبرا الخديوية والتي كان لها وللجيل الموسيقي الذي عاصر ظهور أوبرا عايدة وغيرها من الأعمال الموسيقية العالمية أكبر الأثر في التمهيد لنشوء طبقة من الموسيقيين المصريين والمجتمع الفني الذي أمن بالحاجة إلى التوجه الحديث في دراسة الموسيقى وتأليفها. وهنا أصبحت القاهرة للشعوب العربية كما كتنت فيينا للشعوب الأوروبية في القرن التاسع عشر.

ونجد اليوم نفاوت كبير بين مجموعات الموسيقيين العرب في مختلف الوطن العربي وبين مختلف أنواع الموسيقى العربية. كما أن ظهور العديد من المؤسسات الموسيقية والتعليمية والمعاهد والجامعات وتكنولوجيا تدوين الموسيقى وتسجيلها وإنتاجها سبب الكثير من التفاوت في القدرات والجودة في الموسيقى العربية بكافة أنواعه. ومن الملاحظ أنه عدم إستخدام معيار وقوانين معينة في التدوين والأرشفة والحماية الفكرية جعل لهذا التفاوت أكبر الأثر في ضياع العديد من المؤلفات أو تبقى غير معروفة وتبقى بشكل مخطوطات يتكدس عليها الغبار من جيل لجيل.

ويمكننا أن نحدد أهم الصعوبات والتحديات التي تواجه التراث الموسيقي العربي بكافة أنوعه وفي جمبع الوطن العربي كما يلي:

- ✓ إن التراث العربي الموسيقي يفتقر إلى التوثيق والتدوين العلمي لأعمال الموسيقيين العرب وخاصة للموسيقى العربية العالمية، ولئن كان ذلك متوفرا بصورة مبدئية ومنفردة لبعض الموسيقيين المصريين.
- ✓ فمثلا هناك موسيقيون فلسطينيون عرب كتبوا أكثر من عشرين سيمفونية لا يوجد توثيق لها إلا لثلاث سيمفونيات ومنفردة ومحدودة مع عائلاتهم وبعض الأرشيفات الموسيقية في الأمكنة التي عملوا فيها.

- ✓ أما الأعمال الموسيقية المدونة فهي تعاني من إختلاف أساسي بينها في أسلوب التدوين والتوثيق، وهذا بسبب عدم وجود قانون معيار معين يوحد أساليب التدوين والتوثيق للأعمال الموسيقية العربية
- ✓ هناك معضلة أخرى أساسية وهي ضعف النشر والتوزيع حيث يبقى الحصول على هذه الأعمال أمر ليس صعبا فقط وإنما لا تتواجد طريقة واضحة لتحديد مكان وكيفية الحصول عليها
- ✓ أما المشكلة والتحدي الأساسي هو حفظ حق الملكية للموسيقيين المؤلفين لهذه الموسيقى.

من الواضح أنه يجب خلق بيئة منتظمة تستطيع مجابهة هذه التحديات. إن التوثيق لحياة وأعمال هؤلاء الموسيقيين ليس فقط واجبا علميا وإنما واجبا عربيا وقوميا للأجيال القادمة وتوفيرها عالميا أيضا.

إن الجهود الكبيرة التي تقوم بها مكتبة التوثيق الموسيقي في دار الأوبرا هي فرصة كبيرة للإنتقال إلى مثل هذه البيئة.

الإقتراح

إن مجابهة هذه الصعوبات والتحديات لا تتم عبر حلول جزئية ومنفصلة. مثلا: لا يمكن أن نعتمد على مشروع يتم فيه إستلام مخطوطات موسيقية وترقيمها وربما إعادة تدوينها ووضعها على رفوف مكتبة. هذه الخطوة ستحمي المخطوطة وتحفظها ولكن هذا لا يكفي. يجب أن يتم تحويلها إلى نسخة إلكترونية بأفضل الصيغ، كما ونشرها وجعل إيجادها سهل، ومن قم توفير نسخ منها لمن يريد (بحسب شروط معينة: مثلا مجانا أو بتكلفة، إلخ). كما يجب توفير أي تسجيلات لها إذا وجدت. ولهذا يقدم هذا الإقتراح حلا متكاملا ليحافظ على "مستودع" مركزي يحوي كل ما يتعلق بهذه القطع الموسيقية وبجميع أشكالها التي يمكن ان تتوفر فيها/ بالإضافة إلى سرد أكاديمي لهذه القطع ونبذة عن مؤلفيها. ويبنى هذا الحل على ثلاثة مبادئ:

١. البحث العلمي والفني حيث تتولى مجموعة من الموسيقيين والأكاديميين التدقيق والبحث وتصنيف هذه المؤلفات الموسيقية
٢. التوثيق والنقد الفني حيث يتم فيه تجميع معلزمات كاملة عن مؤلفي هذه الموسيقى والتركيز عليهم بحيث يكون ذلك ليس فقط السيرة الذاتيو وتاريخ حياتهم بل هو تومثيق لهؤلاء

الموسيقيين وإعطاء حقهم لحفظ تاريخهم وتراثهم الفني، كما يوفر قاعدة علمية لدارسي التاليف الموسيقي للإستفادة من فن وإبداع هؤلاء الموسيقيين.

٣. وأخيرا توفير كل ذلك في بيئة إلكترونية رقمية بحيث تتم الإستفادة من تقنية المعلومات والإتصالات الحديثة وبهذا تصبح محتويات هذا "المستودع" المركزي مكتبة رقمية حديثة تمتاز بالدقة والسرعة وسهولة الوصول إليها من أي مكان وأي زمان.

وبناء على هذه المبادئ يمكن إيضا طبيعة هذا الحل بشكل بيئة (مكتبة مركبة) كما يلي:

- ✓ إنشاء مكتبة رقمية تعني بالمؤلفات والأعمال الموسيقية العربية تكون البيئة الأكاديمية والفنية الحاضنة لها وتوفير الفرصة للباحثين العرب ومن دول العالم والمعنيين في البحث عن معلومات أكاديمية عن التراث العربي المعاصر. وتتواجد هذه الأعمال والمؤلفات بالأشكال التالية:
  ١. المخطوطة نفسها كما كتبها المؤلف أو صورة إلكترونية منها – إذا توفرت –
  ٢. نسخة بعد تدوينها بالنوتة بشكل مهني ولائق، ويكون جاهزا للطباعة
  ٣. أي نسخة تسجيل لهذا القطعة (صوتيا أو مرئيا) مع تدوين العازفين والمكان وتاريخ التسجيل – خاصة إذا توفر تسجيل قديم لها بمشاركة المؤلف أو موسيقيين مميزين
- ✓ توفير محتوى معلوماتي عن الموسيقيين العرب من جميع الدول العربية والمقيمين في العالم ليشمل على ما يلي:
  ١. السيرة الذاتية التفصيلية للموسيقيين العرب وتدوينها.
  ٢. دراسة أعماله وتوفير نقد فني وإستعراض كامل لأعماله الموسيقية الكاملة وتراكيبها
  ٣. توفير قائمة أعماله وترقيمها بفهرس كامل.
- ✓ توفير آلية بحث إلكترونية تساعد في البحث عن أي قطعة أو معلومات عن أي كؤلف بشكل ذكي وسهل، ويمكن هنا إسنخدام وسائل تكنولوجية متقدة (وغير مكلفة) تسمى تكنولوجيا ذكية للبحث صوتيا أو إستخدام الهاتف المتنقل إلخ.
- ✓ توفير إطار تواصل علمي وتعليمي يوفر إمكانية التواصل إلكترونيا ورقميا بين الموسيقيين العرب والأكاديميين العرب المختصين وطلبة الموسيقى في الدراسات العليا، ويمكن أن يكون هذا الإطار

جمعية علمية للموسيقيين العرب بشكل فرضي وشراكة مؤسسات موسيقية ثقافية ودوائر الموسيقى في جامعات عربية لتبادل الخبرات والأفكار والإنتاجات الفنية عربيا وعالميا.

إن هذا الإقتراح للمكتبة الرقمية يرتكز على خمس مستويات تبدأ من أهم جزء على الإطلاق وهو الحوكمة: من يملك هذه المكتبة ومن هو صاحب القرار تالأعلى بخصوصها ومن هم اللجنة المسؤولة عن تشغيلها. وآخر مستوى هو الجزء الذي يحتوي على الأمور العملية: المكان والأجهزة والإتصالات إلخ. الشكل رقم ١ يوضح هذه المستويات.

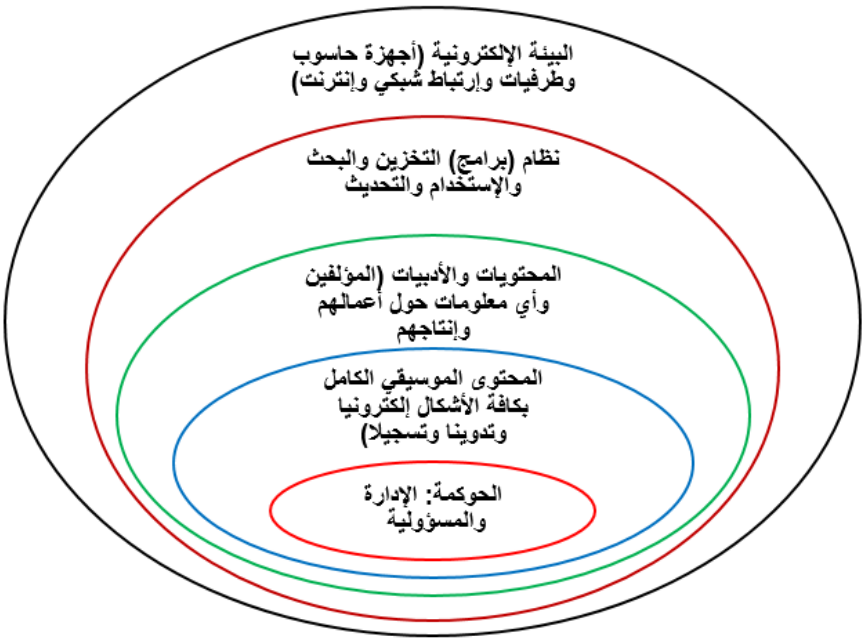

الشكل رقم ١: المستويات الأساسية للمكتبة

جوهر العمل

إنه من المهم معرفة أن المحتوى للمكتبة الإلكترونية هو الأساس في أي مشروع مشابه. ولكن ما يميز هذا المشروع هو أن المحتوى الموسيقي ليس بكتاب منشور وما يتبقى هو تصنيفه ووضعه غلى الرف. المحتور قد يكون مخطوطة أو ملف صوتي لمؤلف ما ويجب الإستماع إليه وتدوينه. كما يجب النظر في هذه الأغنال الموسيقية وكأنها عائلة : تصنيفها يرتبط بالأعمال الموسيقية الأخرى للمؤلف. وعملية التصنيف هي إعادة إحياء ليس فقط للموسيقى ذاتها وإنما لشخصية الموسيقار وعبقريته

وأعماله. ولهذا يجب مشاركة أساتذة أكاديميين وموسيقيين في عملية التصنيف وليس كما يتم تصنيف الكتب والمقتنيات الأخرى.

وفيما يلي يمكن إعتماد أسلوب عمل كما يلي:

تحديد الموسيقى

- يصعب تحديد مصادر المخطوطات الموسيقية أو تسجيلاتها حيث يمكن أن تتوفر في أماكن مختلفة. بالرغم من وجدد مخطوطات ومطبوعات منشورة لهذه الأعمال الموسيقية إلا أن العديد منها لا زال في مكان ما من الغرف القديمة ضمن أوراق ومخلفات موسيقار راحل أو مؤلفات يعتز بها بعضهم ويشك في إمكانية عناية الآخرين بها فيتكتمون عليها. ولكن يجب محاولة الحصول على مخطوطة المؤلف إذا وجدت مكتوبة أو مسجلة والإعتناء بها وتدوينه فنيا على أفضل وجه.
- من المهم أيضا أن يتم كتابة نص نثري حول المخطوطة (مثلا تاريخ كتابتها، الأسلوب والتركيب المتبع فيها، إلخ) وأي معلومات قد تكون مهمة لخفاظ على هوية هذه الموسيقى وجعلها ثرية ليس فقط بالحانها بل بفهمها والإستمتاع بها.

التدوين الفني وحفظ الحقوق الفكرية للمؤلف

- هناك برامج حاسوب جيدة جدا يمكن إستخدامها بشكل سهل وسريع لتدوين الموسيقى بشكل فعال ومتقن. وفي الواقع يتم إعتماد معيار معين من ناحية التصميم الفني والشكل والإنتاج بشكل يمكن أن يتم طباعتها مباشرة.
- يجب إعتماد نظام أرقام للنشر عالمية لتحفظ حقوق النشر والملكية الفكرية للمؤلف. والأهم من ذلك يجب الإتفاق مع المؤلف إذا كان حيا أو بقوم الأكاديميون المختصون بوضع أرقم تسلسلية لأعمال المؤلف.

إدارة سجل والملفات المتعلقة بالقطعة والتسجيل

- تصنيفها كما يجب في قواعد البيانات الإلكترونية وتخزينها في السجلات المخصصة لها.
- إن هيكلية سجلات قواعد ابليانات تتطلب ربطها إلكترونيا مع الأعمال الأخرى المتوفرة في المكتبة (مثلا المؤلفات الأخرى للموسيقار نفسه) وتأهيلها للإستجابة للبحث الإلكتروني وإسترجاع نسخ منها عند الحاجة.

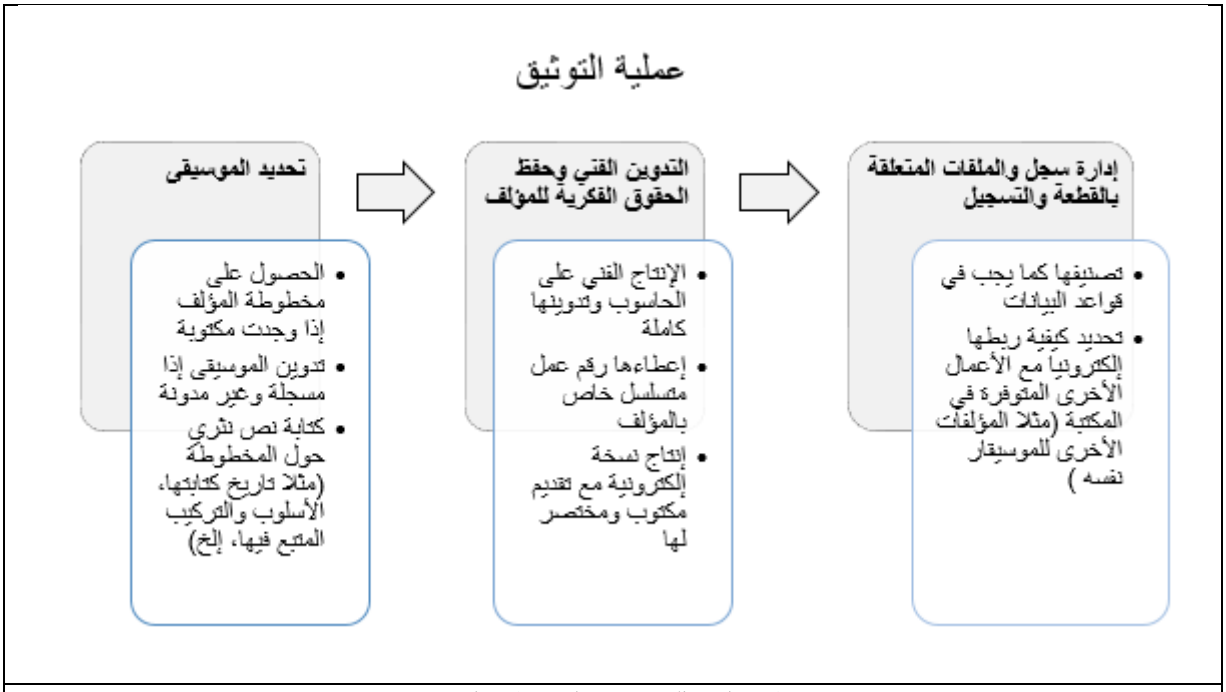

الشكل رقم ٢: عملية التوثيق

خطوات مستقبلية

أي عمل على مستوى مرموق يرقى لأهمية الحاجة إلى توثيق وحفظ التراث الموسيقى العربي بكافة أنواعها يجب أن يراعي حقيقتين:

١. **الحاجة للتدوين والتوثيق مهمة وملحة: لا أعتقد أن هناك إثنين لا يتفقوا أنه هناك خطر ثقافي كبير على التراث الموسيقي العربي وليس فقط على المؤلفات الموسيقية العربية العالمية ولكن أيضا ولو بدرجة أقل على المؤلفات الموسيقية العربية المختلفة وربما موسيقى الفولكلورية أيضا للشعوب العربية.**

٢. **إستراتيجية العمل لا يمكن أن تكون "خطوة خطوة" بمعنى إتباع عملية التوثيق كم هو في الشكل ٢ وذلك لأنه يجب تصميم وبناء البيئة اللازمة أولا. وهذا يعني أنه يجب أولا الإتفاق على قوانين ومفاهيم التصنيف والترقيم والملكية الفكرية وأمور أخرى وتوفير البينة التحتية من أجهزة حاسبات والبرنامج المطلوب والربط الشبكي والإنترنت وتوفير التطبيقات اللازمة. وبعد ذلك يمكن البدء في عملية التوثيق.**

وبناء على ذلك، تقترح هذه الورقة على لجنة المؤتمر الموقر الخطوات التالية:

١. **تقوم لجنة المؤتمر بتشكيل لجنة فنية مؤقتة من الموسيقيين والخبراء والأكاديميين بشكل تطوعي وذلك لدراسة الفكرة في فترة محددة وتقديم توصيات للجنة المؤتمر بعدها للتخذ ما تراه مناسبا للمتابعة. وتنركز الشروط مرجعية لهذه اللجنة المؤقتة ما يلي:**

٢. **وضع وصف كامل لهذه المكتبة الرقمية من ناحية الرسالة والأهداف التي تشكل لأجلها.**

٣. **وضع مقترحات حول من ممكن أن يكونوا ذوي الإهتمام في هذا المشروع (مؤسسات وهيئات تعني بالموسيقى) وذلك لإقتراح دعوتهم للمشاركة في الدعم الفني والأكاديمي والتعاون من خلال تشكيل هيئة تأسيسية للمشروع.**

٤. **كتابة مقترح لنظام أساسي لهذه المكتبة لتنظيم عملها في المستقبل.**

٥. **وضع مقترح لخطة عمل تفصيلية لتصميم وبناء المكتبة لعرضها على لجنة المؤتمر.**

٦. **وحين يتم تسليم هذه المقترحات والتقرير يتم حل هذه اللجنة ويترك الأمر مناطا بلجنة المؤتمر أو من يمكنه إتخاذ القرار اللازم للمتابعة.**

وبجدر بالذكر أنه في تصميم المكتبة يجب أن يتم إعتماد إطار عمل إستراتيجي لتنفيذه. وهذا الإطار يعتمد على ثلاث محاور أساسية (الشكل ٣)، وهي ما يلي:

١. **الحوكمة: الإدارة والمسؤولية**
   - **كتابة الرسالة والأهداف**
   - **دعوة ذوي الإهتمامات (مؤسسات وهيئات تعني بالموسيقى) لتشكيل هيئة تأسيسية**
   - **كتابة نظام أساسي لهذه المكتبة**
   - **توقيع إتفاقية تفاهم بين جميع المشاركين**
   - **تكليف لجنة لتصميم وتنفيذ الإقتراح**

٢. **المحتوى الموسيقى والأدبي**

- **إيجاد آلية للبحث وإيجاد مخطوطات والتواصل مع الموسيقيين وأهاليهم إذا متوفيين**
- **الإتفاق على قوانين ومفاهيم التصنيف والترقيم والملكية الفكرية**
- **وضع خطة عمل للبدء في تجميع مخطوطات وأعمال موسيقية وتنظيمها بقوانين المحتوى**

٣. **بناء المكتبة**

- **تصمصم قواعد البيانات الازمة**
- **بناء النظام المعلوماتي لإدارة المكتبة**
- **توفير البيئة التحتية الإلكترونية اللازمة**
- **وضع خطة التشغيل**
- **تسليم المشروع للجهات المعنية**

وأخيرا، وليس آخرا، لربما أن أهم معايير للنجاح لهذا المشروع ه:

- ✓ **توفير أكبر جزء من التدوبن والنشر والطباعة والتسجيل لأعمال موسيقية عربية وموسيقى عربية عالمية بجودة ومتناول من يريد وبسرعة وتوفر مصادر للبحث الفني والأكاديمي.**
- ✓ **توفير قرص مستمرة حول الإعلام والتواصل مع المجتمع ليس فقط في الوطن العربي وإنما عالميا لنشر هذه الأعمال في المجتمعات الموسيقية الدولية**

الشكل رقم ٣: مراحل لإطار عمل